حصول البأس
في
امتحان الناس بالناس

تأليف

أبو عمر

حاي بن سالم الحاي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حصول البأس
في
امتحان الناس بالناس

الطبعـة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥

الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠

Website: www. gheras. com

E-Mail: info@ gheras.com

مقدمة

إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فإنه مما يجب على المسلم عند وقوع الاختلاف وحدوث التنازع أن يرد ذلك إلى كتاب اللَّه جل وعلا وسنة نبيّه ﷺ كما قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَالِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى[١]:

قال مجاهد: وغير واحد من السلف أن يرد تنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة.

وقال التابعي الجليل ميمون بن مهران رحمه اللّه تعالى عن هذه الآية الكريمة: إلى كتاب اللّه والرد إلى رسول اللّه ﷺ إذا قُبضَ إلى سنته[٢].

قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى في إعلام الموقعين ١/ ٤٩ - ٥٠ عن هذه الآية ومنها أن الناس أجمعوا أن الرد إلى اللّه سبحانه هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه: قام فينا رسول اللّه ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقيل يا رسول اللّه وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال: عليكم بتقوى اللّه والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً وسترون بعدي اختلافاً «فإنه مَنْ يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٨).

(٢) إسناده صحيح أخرجه ابن جرير الطبري وأبو بكر بن المنذر في «التفسير» (٢/ ٧٦٨) وابن بطة العكبري في الإبانة (١/ ٢١٧، ٢١٨، ٢٥١، ٢٥٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٧٤).

واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٣٧٥) وأبو أسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٢٣٠) وأبو عمر بن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٧٦٦/ رقم ١٤١٤).

المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[١].

وبالرجوع إلى الكتاب والسنة يضمن المسلم بإذنه تعالى السلامة والائتلاف والنجاة من الزيغ والاختلاف.

كما قال النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، كتاب اللَّه وسنة نبيه»[٢].

ولا ريب بأن أصل الضلال وأُس الغواية هو بمخالفة الكتاب والسنة وعمل السلف وما فهموه من نصوص الوحيين الكريمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى[٣]: أصل الضلال: اتباع الظن والهوى.

وقد استعاذ النبي ﷺ من الأهواء فعن زياد بن علاقة عن عمه قال:

---

(١) حديث صحيح عظيم من أجل الأحاديث التي تحث وتأمر بالتمسك بهدي النبي ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم وتحذر من أهل الأهواء والبدع.
رواه أبو داود في السنن (٤٦٠٤، ٥/ ١٠ - ١١) في كتاب السنة باب لزوم السنة.
والترمذي (٢٦٦٣، ٥/ ٣٧ - ٣٨) في كتاب العلم باب ما نُهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ وابن ماجه في المقدمة (١٢، ١٣، ١/ ٦ - ٧) باب تعظيم حديث رسول اللَّه ﷺ وأحمد (٤/ ١٣١، ١٣٢) والدارمي (٩٦، ١/ ٢٢٨ - ٢٢٩) في المقدمة باب اتباع السنة، وابن حبان موارد الظمآن (٨٨، ١/ ١٣١) والأجري في الشريعة (ص٥٣، ٥٤) ومحمد بن نصر المروزي في السنة (٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢).

(٢) إسناده جيد أخرجه الحاكم (١/ ٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٤).

كان رسول اللّه ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء»[(١)].

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء»[(٢)].

قلت: ومضلات الأهواء هي البدع والآراء المخالفة للكتاب والسنة وما استقر عليه فهم السلف.

قال الحافظ ابن القيم رحمه اللّه تعالى[(٣)]:

لقد كان السلف يُسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول ﷺ في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية يُسمونهم أهل الشبهات والأهواء، لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم وهوىً لا دين فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدىً من اللّه وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة اهـ.

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم لم أقصد به جماعة معينة صفتها كذا وكذا.

---

(١) إسناده صحيح رواه ابن أبي عاصم في السنة باب قوله عليه السلام: المستعاذة من الأهواء (رقم ١٣، ١/ ٤٤) والترمذي (٣٥٩١) في الدعوات وابن حبان (٩٦٠) والطبراني في المعجم الكبير (٣٦، ١٩/ ١٩) والحاكم (١/ ٥٣٢).
(٢) إسناده صحيح رواه أحمد (٤/ ٤٢٣) وابن أبي عاصم في السنة (١٤، ١/ ٤٤ - ٤٥) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٨٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٢).
(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٣٨).

ولا شيخاً معيناً نعته كذا وكذا.

وإنما عنيتُ وقصدت كل أحد خالف مذهب السلف الكرام وجانب طريقتهم المثلى وصراطهم المستقيم وأخذ يمتحن الناس بالناس بآرائهم وأقوالهم المخالفة لما استقر عليه فهم السلف في أمور العقيدة ومسائل المنهج وتجريد المتابعة للنبي ﷺ بل هذا الأمر مبتدع وذلك أن خير القرون لم يهْتدوا إليه بل اهتدى إليه غيرهم ولله در ابن القيم عندما قال في النونية (ص٦٧):

أيكون حقاً ذا الدليل وما اهتدى	**خير القرون له محالٌ ذان**
وُفِّقتموا للحق إذ حُرموه في	**أصل اليقين ومقعد العرفان**
وهَدَيتُمونا للذي لم يهتدوا	**أبداً به واشِدَّة الحِرمان**
ودخلتُمُ للحق من باب	**وما دخلوه واعجباً لذا الخِذلان**
وسَلَكْتُمُ طرقَ الهدى والعلم	**دون القوم واعجَبًا لذا البهتان**

أيكون امتحان الناس بالناس حقًا وصواباً وهدى وما اهتدى له أصحاب النبي ﷺ ولا التابعون لهم بإحسان هذا عين المحال فالجماعة الحق هي التي التزمت اعتقاد وهدي السلف والمنهج العظيم والمنهج القويم الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ ولم يخالفوهم البتة.

كتب

أبو عمر حاي الحاي

من هدي السلف

من هدي السلف رضي الله عنهم أنهم لا يمتحنون الناس ببعض الناس من أهل العلم.

بل كانوا يمتحنون الناس باتباعهم لسنة النبي ﷺ ولا يُرتِّبون ويُنصِّبون شخصاً يدعون إلى مذهبه وطريقته إلا رسول اللَّه ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى[1]: «وليس لأحدٍ أنْ ينصب شخصًا يدعو إلى طريقته ويُوالي ويُعادي عليها غير النبي ﷺ ولا يُنصِّب كلاماً يوالي عليه ويُعادي غير كلام اللَّه ورسوله وما اجتمعت عليه الأُمة، بل هذا من فعْل أهل البدع الذين يُنصِّبون لهم شخصاً أو كلامًا يُفَرِّقون به بين الأُمة يُوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسْبة ويعادون».

قلت: وهذا الذي يجب على المسلم.

أن لا يقدم أحداً ولا مذهباً على سنة رسول اللَّه ﷺ ويوالي عليها ويعادي عليها إنما الموالاة والمعاداة والبراء والولاء للَّه وفي اللَّه جل وعلا وفي رسول اللَّه ﷺ.

وعليه أن يتبرأ ويعتزل هذه الفتنة التي تفرق شمل المسلمين وتجلب

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٥).

لهم البغضاء والشحناء.

كما حدثت فتنة القول بخلق القرآن وامتحان أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام[١]: «ثم لما ولي الخلافة - أي الخليفة المأمون - اجتمع بكثير من هؤلاء - الجهمية والمعتزلة - ودعا إلى قولهم في آخر عمره وكتب وهو بالثغر بطرسوس التي ببلد سيس إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق فلم يُجبه أحد ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يُجبه وإرساله إليه فأجاب أكثرهم ثم قيَّدوا سبعة لم يُجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا:

الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فأرسلوهما إليه فمات قبل أنْ يصلا إليه ثم أوصى إلى أخيه أبي إسحاق وكان هذا سنة ثاني عشرة ومائتين وبقي أحمد في الحبس إلى سنة عشرين فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضَرَبوه وأطلقوه.

وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه وإلا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته

---

(١) (١٣/ ١٨٣).

وكانوا إذا افتكوا الأسرىٰ يمتحنون الأسير فإن أجابهم افتدوه وإلا لم يفتدوه».

وقد بيَّنَ شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى أن اختبار وامتحان الناس وذلك بتحْزيبهم وتفريقهم مما يؤدي إلى القطيعة والتدابر والتحاسد والعداوة.

قال رحمه اللَّه تعالى(١): «فإذا كان المعلم أو الاستاذ قد أمر بهجر شخص أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك نُظر فيه:

فإن كان قد فعل ذنباً شرعياً عُوقب بقدْر ذنبه بلا زيادة وإنْ لم يكن أذنب ذنباً شرعياً لم يجز أنْ يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره وليس للمعلمين أنْ يحزِّبوا الناس ويفعلوا ما يُلْقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البرِّ والتقوى كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

قلت:

وامتحان الناس بالناس والأفراد مما يضر ويجلب البغضاء فحسبنا الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.

---

(١) (٢٨/ ١٥ - ١٦).

عن عاصم الأحول قال:

قال لنا أبو العالية:

تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم الصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تُحرِّفوا الصراط يميناً وشمالًا وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي كانوا عليه من قبل أن يقتلوا صاحبهم ويفعلوا الذي فعلوا فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يقتلوا صاحبَهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا بخمس عشرة سنة. وإياكم وهذه الأهواء التي تُلْقي بين الناس العداوة والبغضاء.

قال عاصم الأحول: فأخبرت به الحسن - يعني البصري - فقال: صدق ونصح.

حدَّثتُ به حفصة بنت سيرين فقالت لي: بأهلي أنت هل حدَّثت بهذا محمداً تعني ابن سيرين؟ قلت: لا، قالت: فحدِّثْه إياه[(١)].

قال الإمام الرباني الآجري رحمه اللَّه تعالى في الشريعة.

علامةُ من أراد اللَّه به خيراً سلوك هذا الطريق كتاب اللَّه وسنن رسول اللَّه ﷺ وسنن أصحابه ﵃، ومن تبعهم بإحسان وما كان

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الآجري في الشريعة (١٩) ١/ ١٢٤ وابن بطة (١٣٦، ٢٠٢) في الإبانة وابن نصر المروزي في السنة (٢٧) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٨).

عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام ومن كان على مثل طريقتهم ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء» انتهى.

قلت: بل إن حب علماء السلف دين وبغضهم ضلال.

قال قتيبة بن سعيد رحمه اللَّه تعالى(١):

إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وذكر قوماً أخرين - فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع.

وإذا رأيتَ الرجل يحب أبا هريرة، وأنس بن مالك، وأُسَيْد بن حُضير، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء اللَّه، وإذا رأيتَ الرجل يحب أيوب، وابن عون، ويونس بن عبيد، وعبد اللَّه بن إدريس الأودي، والشعبي، ومالك بن مِغْوَل، ويزيد بن زُرَيْع، ومعاذ بن معاذ، ووهب ابن جرير، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وزائدة بن قدامة؛ فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيتَ

(١) صحيح: أخرجه الخطيب البغدادي في معرفة أصحاب الحديث (١٤٨) وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (١٧٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٩).

الرجل يحب أحمد بن حنبل، والحجاج بن المنهال، وأحمد بن نصر، وذَكَرَهم بخير، وقال بقولهم؛ فاعلم أنه صاحب سنة.

قلت:

وما نَبُلَ هؤلاء ولا مُدحوا وأثنىٰ عليهم كل من جاء من بعدهم إلا أنهم كانوا أشد الناس حرصاً على اتباع سنة النبي ﷺ وهدي صحابته فإن السنن قوام الدين كما قال عروة بن الزبير رحمه اللّه تعالى السُنَنَ السُنن فإنها قوامُ الدين[1]؟

فلأجل أنهم حفظوا لنا الدين والسنن وميزوها من غيرها من البدع والضلالات أحبهم أهل السنة والجماعة والأثر والحديث وكتب لهم جل وعلا المحبة في قلوب المسلمين الصالحين وثبت لهم سبحانه حلاوة الحديث في قلوبهم أما الشانئون المبغضون لأهل الحديث الذين يحكمون عقولهم وأهواءهم في تفرقة المسلمين وامتحانهم فقد نَزَعَ اللّه من قلوبهم حلاوة الحديث.

قلت:

وما أروع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى وهو يحذر من مخالفة النبي ﷺ أو الانتصار لشيخ أو مذهب فمن فعل ذلك أصبح أبتر.

---

(١) صحيح رواه ابن نصر المروزي في «السنة» (١١٢) والبيهقي في المدخل.

قال رحمه اللَّه تعالى[١]:

فالحذرَ الحذرَ! أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاءَ به الرسول ﷺ أو تردّه لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا؛ فإن اللَّه لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله اللَّه عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعاً للرسول وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك واسمع وأطع، واتبع ولا تبتدع، تكن أبتر مردوداً عليك عملُك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتِّباع، ولا خير في عامله، واللَّه أعلم. اهـ

وقال أحمد بن سنان القطان:

ليس في الدنيا مبتدعٌ إلا وهو يبغض أهل الحديث وإذا ابتدع الرجل نُزِعَ حلاوةُ الحديث من قلبه»[٢].

قلت:

هؤلاء الذين تقدم ذكرهم هم مصابيح الدجى من أهل الإسلام وجهابذة نقاد الحديث.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٥٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٤) والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (١٥١) وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (١٦٣) وأبو إسماعيل الهروي الأنصاري في «ذم الكلام» (٢٣٧) (٢/ ١٥٨) وانظر تذكرة الحفاظ الذهبي (٢/ ٥٢١).

قوم اختارهم اللَّه تعالى للذب عن دينه وصون شرعه، فيجب علينا أنْ نتبعهم ونعضَّ بالنواجذ على هديهم وطريقهم.

وقال عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه : إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[١].

ونقول كما قال محمد بن سيرين رحمه اللَّه تعالى: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم»[٢].

وما أروع أثر صالح بن كيسان الذي قال فيه: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ثم قال:

«نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة فقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، قال: فكَتَبَ ولم أكتبْ فأنجح وضيَّعتُ»[٣].

وما أجمل قصيدة الإمام المقرئ «أبو مزاحم موسى بن عبيد اللَّه الخاقاني الذي بيَّن فيها الاقتداء بالصحابة والتابعين والأئمة الجهابذة ونصر الطريقة السلفية:

---

(١) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (١/ ٨٦).

(٢) رواه مسلم في مقدمة الصحيح (٥) ١/ ٢٧ - ٢٨ وتبويبه يدل على فقهه باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات. والدارمي (٣٩٩، ٤٣٨، ٨٤٣) والخطيب في موضعين الكفاية والفقية والمتفقة (٣٧٨، ٨٤٤، ٨٤٦، ١١٣) وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٩٤).

(٣) أثر صحيح رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٤٨٧/ ١١/ ٢٥٨ - ٢٥٩) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٤٤١) ١/ ٣٣٢ والخطيب في تقييد العلم (٢٢١).

قال رحمه اللّه تعالى:

أعـوذ بـعـزة الـلّه الـسـلام وقدرتـه من البـدع العـظام
أبـيـن مـذهـبـي فـيـمـا أراه إماماً في الحلال وفي الحرام
كـمـا بيّنتُ في الـقـراء قـولـي على الإنصاف جدَّبه اهتمامي
أقـول الآن فـي الـفـقـهـاء قـولًا على الإنصاف جَدَّ به اهتمامي
كـمـا بيَّنت في الـقـراء قـولـي فلاح القـول مُغْتلياً أمامي
أرى بـعـد الـصـحـابـة تـابـعـيـهـم لذِي فُتياهم بهم أئتمامي
علمت إذا عَزَمْتُ على اقتدائي بهم أني مَصيبٌ في اعْتزامي
وبـعـد الـتـابـعـيـن أئـمـةٌ لـي سأذكر بعضَهم عند انتظامي
ولا أعْـدُ ذوي الآثـار مـنـهـم فهم قصدي وهم نورُ التمامِ
فـسـفـيـانُ الـعـراق ومـالـك فـي حِجازِهِمْ وأوزاعي شامي
ألا وابـن الـمـبـارك قـدوةٌ لـي نعم والشافعي، أخو الكرامِ
ومـمـن ارتـضـىٰ فـأبـو عـبـيـدٍ وأرضى بابن حنبل الإمامِ
فـآخـذ من مـقـالِهـم اخـتـيـاري وما أنا بالمباهي والمسامي
ولست معارضاً إنْ صح لي عن نـبـي الـلّه قـولًا، بـالـكـلام
إذا عـارضـتُ قـول رسـول ربـي خشيتُ عقاب ربي ذي انتقام
ومـا قـال الـرسـول فـلا خـلافٌ لـه يـا ربِّ أبـلـغـه سـلامـي

قلت:

هذا هو الحق أن لا يعارض بعقله ولا برأيه سنة النبي ﷺ وهدي سلف الأُمة فمتى ما عارض ذلك ضل وخاب فلا رأي ولا قياس ولا ذوق ولا رؤى مع سنة النبي ﷺ قال الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز

رحمه اللَّه تعالى: «لا رأى لأحد مع سنة سنَّها رسول اللَّه ﷺ»[١] .

سبحان اللَّه ما أعظم هذا الأثر وما أجمله وقد صدر من خليفة من خلفاء المسلمين ومن عظماء حكام المسلمين أنه لا رأي ولا تقديم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ولا ذوق ولا كشف مع سنة سنها رسول اللَّه ﷺ.

هكذا يعز اللَّه الأُمة إذا عظم المسلمون هدي وسنة نبيهم وتركوا البدع والأهواء والشهوات واللَّه المستعان.

ولا ريب أن الذي يحدث قولًا أو رأياً كامتحان الناس قد فعل سنة سيئة يتحمل وزرها وإثمها بل ويهدم الإسلام والسنن وتحيا البدع والضلالات.

عن زياد بن حُدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه : هل تعرف ما يهدمُ الإسلام؟!

قلت: لا.

قال: يهدمه زلة عالم، وجدال منافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين[٢] .

---

(١) إسناده جيد أخرجه الآجري في الشريعة (١٠٧) ١/ ٤٢٣ وابن بطة العكبري في الإبانة (١٠٠) والهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٨٢/ ٨٢١).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الدارمي (٢٢٠) (١/ ٢٩٥) وابن بطة الحنبلي في الإبانة (٦٤١، =

قلت: ولا شك بخطأ وزلة من نصَّب نفسه على الناس رقيباً وفتاناً يفتن المسلمين بامتحانهم باتباع أو تقليد هذه الطريقة وهذا الشيخ وعلى الذي قد زل الرجوع إلى الحق وترك امتحان الناس وعليه مجالسة أهل الفقه والعلم المتضلعين الراسخين في علم الكتاب والسنة وآثار السلف وأن يثبت على هذا الحق ويعض عليه بالنواجذ ولا ينتقل من مذهب رديئ إلى آخر أردأ وأسوأ.

كما قال الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه تعالى: «مَنْ جَعَلَ دينه غَرضًا للخصوماتِ أكثر التنقُّل»[١].

قلت:

ففي هذا الأثر ذم من جعل دينه هدفاً للعداوات والجراحات والشحناء ومن فعل ذلك فلابد أن يحدث برأيه بدعاً أو يستحسن عبادات لم يأذن اللّه بها سبحانه وتعالى وقد يظن أنه يُحسن صُنعاً.

ولعله يستأنس بما وقع لإمام التابعين سعيد بن المسيب:

= ٦٤٣) وابن عبد البر (جامع بيان العلم) (٢/ ٩٧٩، ٩٨٠، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٧٠) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٦٤١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٦٧٠) (١/ ٥٥٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء.

(١) أثر صحيح: أخرجه الدارمي (٣١٢) والآجري في الشريعة (١/ ١٨٩) رقم (١٢٢) وابن سعد «الطبقات» (٥/ ٢٧٣) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٦١٢) (١/ ٥٦٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٦) وابن بطة في الإبانة (٥٦٦، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٧، ٥٨٠).

أنه رجلًا يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعين يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه سعيد عن ذلك فقال: يا أبا محمد يعذبني اللَّه على الصلاة!!؟ قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة.

قال شيخنا الألباني إمام الحديث العالم الرباني في حكمة بديعة منه وهو يعلق على أثر سعيد بن المسيب رحمهما اللَّه تعالى(١):

هذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه اللَّه تعالى وهو سلاحٌ قويٌ على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم إنها ذكر وصلاة ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم يُنكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك» انتهى.

قلت: وهذا الذي قام على امتحان الناس بحجة فلان أو هذا المذهب قد استحسن هذا الأمر الذي هو خلاف سنة النبي ﷺ ولم يأذن به اللَّه عز وجل قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٤٢].

ولقد سئل شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

---

(١) الإرواء (٢/ ٢٣٦).

قال رحمه اللَّه تعالى[١]:

والصواب هو ما عليه الأئمة من أنه لا يُخَصُّ بمحبة ولا يُلعن، ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فاللَّه يغفر للفاسق والظالم لاسيما إذا أتىٰ بحسنات عظيمة.

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال:

«أول جيش يغزو القسطنطينية مغفورٌ له» وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الأنصاري.

فالواجب الاقتصار في ذلك والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة[٢].

وقال شيخ الإسلام عن يزيد بن معاوية رحمه اللَّه تعالى[٣]:

فإن يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يدرك النبي ﷺ ولم يكن من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شبان المسلمين، ولم يكن كافراً ولا زنْديقاً

---

(١) (٣/ ٤١٣ - ٤١٤).
(٢) (٣/ ٤١٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٠).

وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مُظهراً للفواحش كما يحكي عنه خُصومُهُ.

وقال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى[١]:

وكذلك التفريقُ بين الأُمةِ وامتحانُها بما لم يأمر اللَّه به ولا رسوله:

مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي أو قرفندي فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل اللَّه بها من سلطان وليس في كتاب اللَّه ولا سنة رسوله ﷺ ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة لا شكيلي ولا قرفندي؟ بل أنا مسلم متبع لكتاب اللَّه وسنة رسوله.

وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان: أنه سأل عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما فقال:

«أنت على ملة علي أو ملة عثمان؟! فقال: لست على ملة على ولا عثمان بل أنا على ملة رسول اللَّه ﷺ».

وكذلك كان كل من السلف يقولون:

كل هذه الأهواء في النار.

ويقول أحدهم:

(١) (٣/ ٤٢١).

ما أُبالي أي النعْمتين أعظم؟ على أن هداني اللَّه للإسلام أو أن جنَّبني هذه الأهواء.

واللَّه تعالى قد سمانا في القرآن: المسلمين المؤمنين عباد اللَّه، فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا اللَّه بها إلى أسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل اللَّه بها من سلطان بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي، والشافعي والحنبلي أو إلى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب إلى القبائل: القيسي واليماني وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري.

فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يُعادي عليها بل أكرم الخلْق عند اللَّه أتقاهم من أي طائفة كان.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى بعد إيراده آيات الموالاة والاعتصام بالكتاب والسنة وأحاديث محبة المؤمنين.

قال رحمه اللَّه تعالى:

فكيف يجوز مع هذا لأُمة محمد ﷺ أنْ تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي أخرى بالظن والهوى بلا برهان من اللَّه وقد برأ اللَّه نبيه ﷺ ممن كان هكذا.

فهذا فعْل أهل البدع؟ كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء مَنْ خالفهم. اهـ.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى[١]:

فالواجب الاقتصار في ذلك والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية **وامتحان المسلمين** به فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة، فإنه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وأنه من أكابر الصالحين وأئمة العدل وهو خطأ بين.

قال شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى[٢]:

وليس لأحد أنْ يتخذ قول بعض العلماء شعاراً يوجب اتباعه وينهى عن غيره مما جاءت به السنة، بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع: مثل الأذان والإقامة فقد ثبت في الصحيحن عن النبي ﷺ أنه أمر بلالَ أنْ يشفع الأذان ويوتر الإقامة»[٣].

وثبت عنه في الصحيحين[٤]: أنه علم أبا محذورة الإقامة شفعاً شفعاً كالأذان فَمنْ شَفَعَ الإقامةَ فقد أحسن ومن أفردها فقد أحسن ومن أوجب هذا دون هذا فهو مخطئ ضال ومن والىٰ من يفعل هذا دون

(١) (٣/ ٤١٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٥٢ - ٢٥٥).
(٣) أخرجه البخاري كتاب الأذان (٦٠٥) باب الأذان مثنى مثنى ومسلم كتاب الصلاة (٣٧٨) باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة.
(٤) حديث أبي محذورة رضي الله عنه لم يروه البخاري إنما رواه مسلم كتاب الصلاة باب صفة الأذان (٣٧٩) وأبو داود في الصلاة (٥٠٣) والنسائي في الأذان (٦٢٨) والترمذي مختصراً (١٩١) وابن ماجه (٧٠٨) وأحمد (٣/ ٤٠٩) والبغوي في شرح السنة والبيهقي (١/ ٣٩٤) وابن خزيمة (٣٧٧).

هذا بمجرد ذلك فهو مخطئ ضال.

وبلاد الشرق من أسباب تسليط اللَّه التَّتر عليها كثرة التفرُّق[١] والفتن بينهم في المذاهب وغيرها حتى نجد المُنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يَخْرُجَ عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا، وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا، وكل هذا من التفرُّق والاختلاف الذي نهى اللَّه ورسوله ﷺ عنه.

المتُعصبين بالباطل المتتبعين الظن وما تهوى الأنفس المتبِّعين لأهوائهم بغير هدىً من اللَّه مستحقون للذم والعقاب، وهذا باب واسعٌ لا تحتمل هذه الفُتيا لبسْطِهِ فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع.

وجمهور المتعصبين لا يَعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء اللَّه بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد تكون صدقاً وقد تكون كذباً وإن كانت صدقاً فليس

(١) ولي رسالة بحمد اللَّه تعالى في بيان هذا الموضوع وسميتها تحذير الخلف بضرر الانحراف عن مذهب السلف اسأل اللَّه جل وعلا التوفيق في نشرها.

صاحبها معصوماً يتمسكون بنقل مُصدَّق عن قائل غير معصوم ويَدَعون النقل المُصدَّق عن القائل المعصوم هو ما نقله الثقات الأثبات من أهل العلم ودوَّنوه في الكُتُب الصحاح عن النبي ﷺ.

قلت:

ومن درر كلام شيخ الإسلام رحمه اللَّه عن بدعة التعصب والامتحان، قال رحمه اللَّه[1]:

«وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزْباً فإن كانوا مجتمعين على ما أمر اللَّه به ورسوله من غير زيادة ولا نُقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونَقَصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزْبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزْبهم سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من الذي ذمَّه اللَّه تعالى ورسوله فإن اللَّه ورسوله أمرا بالجماعة والأتلاف ونَهيا عن التفرُّق والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهياً عن التعاون على الإثم والعدوان».

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى[2]:

وليس لأحد أنْ يُنتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على

---

(١) المجموع (١١/ ٩٢).
(٢) (١١/ ٥١٢).

ذلك بل عليه أن يوالي كلَّ مَنْ كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يَخُصُّ أحداً بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيدُ إيمانه وتقواه فُيقدِّم من قدَّم اللَّهُ تعالى ورسولُهُ عليه ويفضِّل مَنْ فضل اللَّه ورسوله ﷺ.

قلت:

وهذا هو الأصل أن المسلم يوالي أهل الإيمان والتقوى الذين اعتصموا بكتاب اللَّه عز وجل واتبعوا هدى النبي ﷺ والتقوا على التوحيد والمنهاج واتباع هدي صحابة النبي ﷺ ويعادي على ذلك فلا يعادي لحزبية ولا شك أن هذا هو سبيل النجاة.

يا طالب الحق إن الحق في الجُملَ — وفي الوقوف عن الإفراط والزلل
هي النجاة فلا تطلب بها بدلًا — بذا أتاك حديث السادة الأُول
أصول ديني كتاب اللَّه لا العَرَضُ — وليس لي في أصول غيره غَرَضُ[1]

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى وهو يؤكد ويؤصل ما كان عليه السلف من هذا الهدي والصراط المستقيم وهو تَرْك امتحان الناس لأن أهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق.

قال رحمه اللَّه تعالى:

أهل السنة أعرف الناس بالحق وأرحمهم للخلْق».

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٣/ ٤١١).

قلت:

أهل السنة يعرفون متى يدعون الناس إلى الكتاب والسنة فهم يتبعون النبي ﷺ في ذلك وهدي صحابته ويوالون ويعادون على الحق فيدعون الناس إلى اتباع كتاب اللَّه عز وجل وسنة النبي ﷺ وأن يعتقدوا اعتقاد خير الناس قرناً باللَّه عز وجل وعلى المسلم أنْ لا يجنح إلى التأويل والتعطيل والتشبية والتكييف لصفات الباري جل وعلا بل على المسلم أن يمرر آيات الصفات وأحاديث الصفات كما جاءت من غير تأويل ولا هذيان قال أبو محمد القحطاني في النونية[١]:

أمرر أحاديثَ الصفات كما أتت   من غير تأويل ولا هَذَيان
هو مذهب الزهري ووافق مالكُ   وكلاهما في شَرْعنا عَلَمان
للَّه وجه لا يُحد بصورة   ولربنا عينان ناظرتان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى[٢]:

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبْل اللَّه وأقل ما في ذلك أنْ يُفضِّل الرجل من يوافقه على هواه وإنْ كان غيره أتقى للَّه منه.

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه اللَّه ورسوله ويؤخِّر مَنْ أخره اللَّه ورسوله ويحب ما أحبه اللَّه ورسوله ويبغض ما أبغضه اللَّه ورسوله وينهى عما نهى اللَّه عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى اللَّه به ورسوله

(١) (ص٤٦).
(٢) (٣/ ٤٢٠).

وأن يكون المسلمون يَدًا واحدةً، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أنْ يُضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً، بل قد عفا اللَّه لهذه الأُمة عن الخطأ والنسيان، وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول ﷺ والمؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾.

وثبت في الصحيح أن اللَّه قال: قد فعلت.

لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام، مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعي أو منتسباً إلى الشيخ «عدي» ثم بعد هذا قد يخالف في شيء ورُبما كان الصواب معه، فكيف يستحل عرضَه ودمه أو ماله؟ مع ما قد ذكر اللَّه تعالى من حقوق المسلم والمؤمن!

وكيف يجوز التفريق بين الأُمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب اللَّه ولا سنة رسوله ﷺ.

هذا التفريق الذي حصل من الأُمة علمائها ومشائخها وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلُّطَ الأعداءَ. وذلك بتركهم العمل بطاعة اللَّه ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾

[المائدة: ١٤] فمتى تركَ الناس بعض ما أمرهم اللَّه به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجْتمعوا صلحوا وملكوا فإن الجماعة رحمة والفُرقة عذاب[١]. اهـ

قلت:

ومن فضل اللَّه عز وجل على أئمة الإسلام وأعلام الهدى:

إن اللَّه جل وعلا صانهم وعصمهم أن يقولوا للمسلمين امتحونوا الناس بنا وقلدونا.

ما قالوا ذلك وحاشاهم أن يقولوا هذا القول المبتدع بل نجدهم رحمهم اللَّه تعالى على النقيض من ذلك: أنْ دعوا المسلمين إلى اتباع كتاب اللَّه عز وجل وسنة نبيِّه ﷺ.

قال شيخ الإسلام[٢]:

فالواجب أن يجعل ما أنزل اللَّه من الكتاب والحكمة أصلًا في جميع هذه الأُمور ثم يَرُدُّ ما تكلَّم فيهِ الناس إلى ذلك. ويبيِّنُ ما في الألفاظ المجملة من المعاني الموافقة للكتاب والسنة فتُقبل وما فيها من المعاني المخالفة للكتاب والسنة فترد.

(١) الجملة الأخيرة: الجماعة رحمة.. هذا نص حديث النبي ﷺ وهو حديث حسن رواه أحمد (٤/ ٢٧٨) وعبد اللَّه بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٣٧٥) والقضاعي في مسند الشهاب رقم ١٥) (١/ ٤٣) والبزار (كشف الأستار ٢/ ٢٩٣ (١٦٣٧).

(٢) (١٧/ ٣٠٦).

قلت: وما أجمل كلام شيخ السلإم رحمه اللَّه تعالى وهو يُبين فضل الانتساب إلى الإسلام والانتساب إلى السنة واجتناب البدع(١):

وأنتم أصلحكم اللَّه قد منّ اللَّه عليكم بالانتساب إلى الإسلام الذي هو دين اللَّه، وعافاكم اللَّه مما ابتلى به من خرج عن الإسلام من المشركين وأهل الكتاب والإسلام أعظم النعم وأجلها، فإن اللَّه لا يقبل من أحد ديناً سواه (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

وعافاكم اللَّه بانتسابكم إلى السنة من أكثر البدع المضلة، مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية، بحيث جعل عندكم من البغض لمن يكذب بأسماء اللَّه وصفاته، وقضائه وقدره، أو يسب أصحاب رسول اللَّه ﷺ ما هو من طريقة أهل السنة والجماعة(٢)، وهذا من أكبر نعم اللَّه على من أنعم عليه بذلك، فإن هذا من تمام الإيمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل

(١) (مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٦)
(٢) وهنا يتّعين علينا أن كما ذكر شيخنا الألباني رحمه اللَّه تعالى وقدس اللَّه روحه قيداً مهماً وهو على فهم السلف الصالح. أي على طريقة أهل الحديث والأثر أي بعد انتمائنا إلى الإسلام وانتمائنا إلى هذا الدين العظيم يتحتم علينا أن نفهمه على وفق فهم السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ ورضي اللَّه عنهم والتابعين رحمهم اللَّه تعالى.
وللَّه الحمد والمنة أن وفقني اللَّه عز وجل في كتابة رسالة في الاحتجاج بفهم السلف.
واسمها الدليل الأقوم على أن فهم السلف هو الأحكم والأسلم أو نصح الخلف في الاحتجاج بفهم السلف.
أسأل اللَّه أن يعينني على طباعتها.

القتال المجاهدين مالا يوجد مثله في طوائف المبتدعين، وما زال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود اللّه المؤيدة منكم من يؤيد اللّه به الدين، ويعز به المؤمنين. اهـ.

قلت:

ولا يجوز إحداث رأي أو قول وإلزام الناس به والامتحان عليه فإن هذا من شعار أهل البدع والضلال.

قال شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى[١]:

من شعار أهل البدع:

إحداث قول أو فعل وإلزام الناس به وإكراهه عليه والموالاة عليه والمعاداة على تركه كما ابتدعت الخوارج رأيها والزمت الناس به ووالت وعادت عليه وابتدعت الرافضة رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه وابتدعت الجهمية رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه.

قلت: تأمل يا أُخَي كلام شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى وهو يوضح شعار أهل البدع وإحداث الأقوال والأفعال والآراء المخالفة لمذهب السلف وذلك بإلزام الناس وامتحانهم بآراء وأصول مبتدعة فهذه الفرق الضالة توالي وتعادي الناس على هذه الضلالات.

---

(١) (٤/ ١٥٥).

وما أجمل تفسير عالم التفسير مجاهد بن جبر رحمه اللَّه تعالى في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ قال رحمه اللَّه: البدع والشبهات(١).

وما أروع كلمة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد رحمه اللَّه تعالى وهو يبين اتباع السنة وترك البدع والوقوف عند أقوال السلف فإن فيها سلامة.

«كتب عَدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز رحمه اللَّه يستشيره في القدرية فكتب إليه عمر بن عبد العزيز:

أما بعد:

أوصيك بتقوىٰ اللَّه والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترْك ما أحدث المحدثون بعد ما جَرَت به سُنتُهُ وكُفُوا مؤنتُه فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن اللَّه عِصْمة.

ثم اعلم أنه لم يبتدع الناسُ بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها فإن السنة إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمْق والتعمُّق فارض لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا وببصرٍ نافذٍ كفوا وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد

(١) صحيح: أخرجه الدارمي (٢٠٩) والطبري في التفسير (٨/ ٨٨) وإسحاق بن راهويه: المطالب العالية (٣٥٩٨) وابن نصر في السنة (٢٠) وابن بطة الحنبلي في الإبانة (١٣٤) والبيهقي في المدخل.

سبقتموهم إليه، ولئن قلتُم: إنما حَدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بِما يكفي ووَصَفُوا منه ما يَشْفي فما دونهم من مُقصِّر، وما فوقه من محسر وقد قصر قوم دونهم فَجفَوا وطمع عنهم أقوام فَغَلوا وإنهم بين ذلك لعلىٰ هدىً مستقيم[1].

قال شارح سنن أبي داود[2]:

والحاصل: أنه أوصاه بأربعة أُمور أن يتقي اللّه تعالى ويقتصد - أي يتوسط بين الإفراط والتفريط - في أمر اللّه أي فيما أمر اللّه تعالى - لا يزيد على ذلك ولا ينقص منه وأن يستقيم فيما أمره اللّه تعالى به لا يرغب عنه إلى اليمين ولا إلى اليسار وأن يتبع سنة نبيه ﷺ وطريقه وأن يترك ما ابتدعه المبتدعون.

وقوله:

«كفوا مؤنته»:

أي أغناهم اللّه تعالى عن أن يحملوا على ظهورهم ثقل الإحداث والابتداع فإنه تعالى قد أكمل لعباده دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي

(١) أثر جليل صحيح: رواه أبو داود (٤٦١٢) والآجري في الشريعة (١/ ٤٤٣ - ٤٤٦ - ٥٧٠ - ٥٧١).
(٢) عون المعبود (١٢/ ٢٠١).

لهم الإسلام دينا، فلم يَتْرك إليهم حاجة للعباد في أنْ يُحْدثوا لهم في دينهم - أي يزيدوا عليه شيئاً أو يُنقصوا منه شيئاً، وقد قال ﷺ شر الأمور محدثاتها».

قوله: فارْضَ لنفسك ما رضي فيه القوم.

أي الطريقة التي رضي بها السلف الصالحون أي النبي ﷺ وأصحابه.

قوله: من محسر: أي مكتشف من حَسَرَ الشيء إذا كشفه.

قلت:

وهذا هو الحق والصراط المستقيم وهو أن يسع المسلم ما وسع أصحاب النبي ﷺ لأن الخير كله في الاتباع والشر والبلاء والمذلة في الابتداع واتباع الأهواء لأن المبتدع لم يرض بالشرع ولم يكتف بهذا الدين بل رأى فيه نقصاً فسده بالزيادة والابتداع!

قال العلامة الأصولي أبو إسحاق الشاطبي رحمه اللَّه في كتابه المعطار الاعتصام (١/ ٦٢) وهو يذم البدع والمبتدعين:

المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عيَّن لمطالب العبد طُرقاً خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد والخير كل الخير فيها وأنَّ الشر في تَعدِّيها إلى غيرها

لأن اللَّه يعلم ونحن لا نعلم وأنه لما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع رادٌّ لهذا كلِّهِ فإنه يزعم أنَّ ثم طرقاً أُخر . وليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عيَّنه بمتعيّن وأن الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم، بل ربما يُفهم مِنْ استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع! وهذا إنْ كان مقصودًا للمبتدع فهو كفرٌ بالشريعة والشارع، وإنْ كان غير مقصود فهو ضلالٌ مبين . انتهى.

وما أجمل قوله الأخير رحمه اللَّه تعالى الذي يُبين فيه فضل التمسك بالسنة والاهتداء وعاقبة من خالفها.

قال مالك بن أنس رحمه اللَّه تعالى: كان عمر بن عبد العزيز يقول:

سن رسول اللَّه ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب اللَّه عز وجل واستكمال لطاعة اللَّه وقوة على دين اللَّه مَنْ عَمِلَ بها مهتدٍ ومن اسْتَنصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه اللَّه ما تولى[1].

قلت:

واتباع غير سبيل المؤمنين واتباع الأهواء هذا مما تخوفه رسول اللَّه

(١) صحيح لطرقه: رواه الخلال في السنة (١٣٢٩) (٤/ ١٢٧) وعبد اللَّه بن الإمام أحمد في السنة (٧٦٦) (١/ ٣٥٧) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٢٦/ ٢/ ١١٧٦) وابن بطة الحنبلي في الإبانة (٢٣٠).

ﷺ وخشيه على أمته ﷺ: كما جاء من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ مما أخشىٰ عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء»[١].

وكذلك ما جاء من حديث زياد بن علاقة عن عمه (وعمه هو قُطْبة ابن مالك» رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات، اللهم جَنِّبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء»[٢].

ولا غرو أن شعارهم ترك انْتحال مذهب السلف.

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى[٣]:

شعار أهل البدع هو: ترك انتحال اتِّباع السلف، ولهذا قال الإمام أحمد «رحمه اللَّه» في رسالة عبدوس:

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

ولا ريب بأن أعظم أسباب الضلال والوقوع في الحيرة والاضطراب إنما هو بمخالفة كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ والإعراض

---

(١) إسناده صحيح أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤) وأحمد (٤/ ٤٢٣) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٢).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٩١) وقال حسن غريب: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣ /١ ٤٤ ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٦) ١٩/١٩ وابن حبان (٩٦٠) والحاكم (١/ ٥٣٢).

(٣) (٤/ ١٥٥).

عن طريقة السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى[١]:

إن الضلال والتهوك[٢] إنما استولى على كثير من المتأخرين بِنَبْذِهم كتاب اللَّه وراء ظهورهم وإعْراضهم عما بعث اللَّه به محمداً ﷺ من البيِّنات والهدى وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم عِلمَ معرفة اللَّه ممن لم يعرف اللَّه بإقْراره على نفسه وبشهادة الأُمة على ذلك وبدلالاتٍ كثيرة، وليس غرضِي واحداً معيناً، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء. اهـ

وما أجمل قول الإمام القدوة العابد الأوزاعي رحمه اللَّه تعالى الذي يُبين فيه التمسك بآثار السلف ونبذ الآراء وزخرف القول.

قال رحمه اللَّه تعالى:

عليك بآثار مَنْ سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإنْ زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم[٣].

---

(١) (٥/ ١١).

(٢) التهوك هو التحيُّر والتهور الوقوع في الشيء بغير مبالاة القاموس المحيط (ص١٢٣٧).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الآجري في الشريعة (١٣٣) ١/ ١٩٣ والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٣٣) والخطيب البغدادي في «معرف أصحاب الحديث» (٦) وأبو عمر بن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٠٧٧) ٢/ ١٠٧١) وأبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٣٢٤).

قلت:

وشاء اللَّه عز وجل أنَّ يجعل السلف الصالح متبوعين. فكل من جاء بعدهم فهو تابع لهم في أُمور العقيدة والمنهج والاتباع فإذا استقر فهمهم على أمر معين لا يجوز إحداث قول آخر يخالف قولهم وإذا اختلفوا على قولين لا يجوز إحداث قول ثالث لكن الحق لا يتجاوزهم وشيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى يذكر في كتاب الرائع والماتع «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٧٨) أنه لا يمكن لأحد من الأئمة أن يقول قولًا ويكون حقاً وصواباً إلا وقد قال به الصحابة والتابعون.

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى:

وقد يوجد لكل واحد منهم أقوال انفرد بها، وكان الصواب الموافق للسنة معه دون الثلاثة، لكن يكون قوله قد قاله غيره من الصحابة والتابعين.

وسائر علماء الأُمة، بخلاف ما انفردوا به ولم يُنقل عن غيرهم فهذا لا يكون إلا خطأ وكذلك أهل الظاهر كل قول انفردوا به عن سائر الأُمة فهو خطأ وأما ما انفردوا به عن الأربعة وهو صواب فقد قاله غيرهم من السلف.

قلت: ومن الأمور التي انفرد بها بعض الناس وخالفوا السلف وانفرادهم خطأ كما قرر شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى هو امتحان الناس.

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

فعليك يا باغي الخير والجنة أن تلتزم السنة وهدي السلف وأعظم بها من منّة تُنجيك وتعصُمك من الفتن كما قال الزهري رحمه اللّه تعالى:

كان من مضى من علماءنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يُقبض قبضاً سريعاً فنعْش العلم ثباتُ الدين والدنيا وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كُلِّه(١).

وأنا أسوق لك بحمد اللّه عز وجل أدلة وبينات وآثاراً تدل على أن السنة نجاة وعصمة وفهم السلف عاصم من الفتن وما أجمعوا عليه حجة يتعيَّن المصير إليها.

قال أبو زميل:

حدثني عبد اللّه بن عباس قال:

لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي يا

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الدارمي (١/ ٢٣٠/ ٩٧) وعبد اللّه بن المبارك في الزهد ٨١٧ والآجري في الشريعة والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٨٦٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٨٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٠١٨ ص ١٠١٩) واللالكائي في شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (١٣٦، ١٣٧) وابن بطة في الإبانة (١٥٩) والهروي في ذم الكلام وأهله (٢/ ٤٠٤ - ٤٠٦/ ٤٩٥) (٤/ ١١٠/ ٨٦٥) والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٢٣٥/ ٣٦٣).

أمير المؤمنين أبْرِدْ بالصلاة، لَعَلِّي أُكلِّم هؤلاء القوم قال: إني أخافهم عليك».

قلت: كلا.

فلبستُ وترجلتُ، ودخلتُ عليهم في دار نصف النهار وهم قائلون فقالوا مرحباً بك يا ابن عباس! فما جاء بك!

قلت لهم: أتيتُكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد؛ لأبلِّغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون» وفي رواية الضياء المقدسي في المختارة(١٠/ ٣١٣) بإسناد جيد: «ثم دخلتُ عليهمْ وهم قائلونَ في نَحْرِ الظَّهِيْرةِ، فدخلتُ على قومٍ لم أرَ قوماً قطّ أشدَّ اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثَمِنُ الإبِلِ، ووجوهُهُم معَلبةٌ من آثارِ السجود».

فانتحى إليّ نَفَرٌ منهم.

قلتُ: «هاتوا ما نَقَمْتُمْ على أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ، وابن عمّه».

قالوا: ثلاث.

قلتُ: «ما هُنَّ».

قالوا: أما إحداهنَّ: فإنه حَكَّمَ الرجالَ في أمر اللَّه، وقال اللَّه: ﴿إِنِ

﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾. ما شأن الرجال والحكم؟!

قلتُ: «هذه واحدة».

قالوا: وأما الثانية: فإنه قَاتَلَ ولم يَسْبِ ولم يَغْنَمْ؛ إن كانوا كُفَّاراً لقد حَلَّ سَبْيُهُم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سَبْيُهُم ولا قتالُهم.

قلتُ: «هذه ثِنْتَان؛ فما الثالثة»؟

قالوا: محَى عن نفسه (من أمير المؤمنين)؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين!!

قلتُ: «هل عندكم شيء غير هذا؟».

قالوا: حسبنا هذا.

قلتُ لهم: «أرأيتكم إن قرأتُ عليكم من كتاب اللّه جلَّ ثناؤه، وسنة نبيّه ﷺ ما يردُّ قولكم؛ أترجعون؟».

قالوا: نعم.

قلت: «أما قولُكم: حَكَّمَ الرجالَ في أمر اللّه؛ فإني أقرأُ عليكم في كتاب اللّه أَنْ قد صَيَّرَ اللّهُ حُكْمَهُ إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأَمَرَ اللّهُ تبارك وتعالى أن يَحْكُمُوا فيه؛ أرأيتَ قولَ اللّه تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حُكْمِ

اللَّه أن صَيَّرَهُ إلى الرجال يَحْكُمُونَ فيه، ولو شاء لحَكَمَ فيه، فجاز من حكم الرجال.

أنشدكم باللَّه؛ أَحُكْم الرجالِ في صلاح ذاتِ البَيْنِ وحَقْن دمائهم أفضل أو في أرنب؟!».

قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل.

«وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] فنشدتكم باللَّه؛ حكم الرجال في صَلَاحِ ذات بينهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟! خرجتُ من هذه؟».

قالوا: نعم.

قلتُ: «وأما قولُكم: قاتَلَ ولم يَسْبِ ولم يَغْنَمْ؛ أَفَتَسْبُونَ أُمَّكم عائشة؛ تَسْتَحِلُّون منها ما تستحِلُّون من غيرها وهي أُمُّكم؟! فإن قُلْتُم: إنا نَسْتَحِلُّ منها ما نستحِلُّ من غيرها؛ فقد كفرتُم. وإن قلتمُ: ليستْ بأُمِّنَا؛ فقد كفرتُم، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين؛ فَأْتُوا منها بمخرج. أفخرجْتُ من هذه؟».

قالوا: نعم.

«وأما محي نفسه أمير المؤمنين؛ فأنا آتيكم بما ترضون؛ إن نبيَّ اللَّه ﷺ يوم الحديبية صَالَحَ المشركين، فقال لعليٍّ: «اكتُبْ يا عليّ: هذا ما صَالَحَ عليه محمد رسول اللَّه». قالوا: لو نعلمُ أنك رسولُ اللَّه ما قاتلناك!

فقال رسول اللَّه ﷺ: «امحُ يا عليّ، اللهم إنك تعلمُ أني رسول اللَّه، امحُ يا علي واكتب: هذا ما صَالَحَ عليه محمد بن عبد اللَّه».

واللَّهِ لرسولُ اللَّه ﷺ خيرٌ من عليّ، وقد محى عن نفسه، ولم يكن مَحْوُه نفسه ذلك محاه من النبوة، أَخَرَجْتُ من هذه؟».

قالوا: نعم.

فرجَعَ منهم ألفان، وخَرَجَ سائرهم، فقُتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار»[1].

وفي رواية الضياء المقدسي بإسناد جيد: «فرجعَ منهم عشرون ألفاً،

---

(١) إسناده حسن: لوجود عكرمة بن عمار وفيه كلام. قال الحافظ في التقريب: «صدوق يغلط».
والحديث قال عنه شيخنا الألباني رحمه اللَّه تعالى، في صحيح سنن أبي داود (٣٤٠٦) إسناده حسن.
وقال عنه العلامة أحمد شاكر رحمه اللَّه تعالى (مسند أحمد ٥/ ٦٧) إسناده صحيح!
رواه النسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٥ - ١٦٧) رقم ٨٥٧٥ وأحمد (١/ ٣٤٢) شاكر ٣١٨٧ والحاكم (٢/ ١٥٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٩) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٨٣٤) (٢/ ٩٦٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٥٠٩٨) والفسوي في المعرفة والتاريخ وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٨ - ٣٢٠).

وبقي منهم أربعةُ آلافٍ فقُتلوا».

وقد علق المحقق الأصولي أبو إسحاق الشاطبي اللخمي رحمه اللَّه تعالى تعليقاً ماتعاً على هذا الأثر فقال في الاعتصام:

فلو نظر الخوارج أن اللَّه تعالى قد حكّم الخلق في دينه في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، لعلموا أن قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] غير مناف لما فعله عليّ، وأنه من جملة حكم اللَّه؛ فإن تحكيم الرجال يرجع به الحكم للَّه وحده، فكذلك ما كان مثله مما فعله علي.

ولو نظروا إلى محو الاسم من أمر لا يقتضي إثباته لضده، لما قالوا: إنه أمير الكافرين، وهكذا المشبهة لو حققت معنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] في الآيات المذكورة لفهموا بواطنها، وأنَّ الرَّبَّ منزَّهٌ عن سمات المخلوقين.

وعلى الجملة؛ فكل من زاغ ومال عن الصِّراط المستقيم؛ فبمقدار ما فاته من باطن القرآن فهماً وعلماً، وكل من أصاب الحق وصادف الصواب؛ فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطنه. انتهى

قلت: فهؤلاء الخوارج الضالون وغيرهم من الباطنين الزائغين الذين أحدثوا في الإسلام بدعاً عظاماً ومنها: امتحان الناس كالقول بالخروج

على الإمام الجائر ورمي المسلم بالكفر إذ ارتكب كبيرة ومنها ادعاء العصمة لغير رسول اللّه ﷺ وادعاء علم الغيب وسب أصحاب النبي ﷺ وأن هذا من ضروريات المذهب ومن لم يذهب إلى هذا خرج من المذهب وحكم عليه بالكفر والضلال.

وأي ضلال أضل من هذا نعوذ باللّه من الخذلان والمحاسبة العسيرة من الديان.

ويبين ابن القيم رحمه اللّه تعالى أن إحداث أقوال مخالفة للكتاب والسنة ووجود الاختلافات بين المسلمين إنما هو مرجعه إهمال آثار السلف ومنهجهم الواضح.

قال في إعلام الموقعين (٣/ ٢٢٦): «فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحدٍ منهم لمن دعاه اللّه ورسوله وتحاكموا كلهم إلى السنة وآثار الصحابة، لقلَّ الاختلاف وإنْ لم يُعدم من الأرض» اهـ.

قلت:

ومن فضل اللّه تعالى على أمة محمد ﷺ أنْ أكمل لها الدين وأتم لهم الشريعة وأقام لها السنة واستوفى جل وعلا كل ما يحتاج إليه المسلم فلا نحتاج لزيادة أحد تكميل كما يزعم بعض الناس فإن هذا من البدع والضلال أو أن نتساهل في ذلك ونقول هذه بدعة صغيرة لا تضر!

ولله در الإمام الرباني البربهاري حيث قال[١]: واحذر صِغار المحدثاتِ من الأمور فإن صغير البدع يعودُ حتى يصير كبيراً وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأُمة كان أوَّلُها صغيراً يُشبه الحق فاغترَّ بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت وصارت ديناً يُدانُ بها فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام.

وقال الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه: «تَرَكَنا رسول اللّه ﷺ وما طائرٌ يطير بجناحيه إلا عندنا منه علمٌ»[٢].

قال ابن حبان رحمه اللّه تعالى: «وعندنا منه» يعني بأوامره ونواهيه وأخباره وأفعاله وإباحته ﷺ.

وقال ابن الأثير رحمه اللّه تعالى في «النهاية» في غريب الحديث والأثر.

يعني: إنه استوفى بيان الشريعة وما يُحتاج إليه في الدين حتى لم يَبْقَ مُشْكِلٌ فضرب ذلك مثلًا.

وقيل: أراد أنه لم يتركْ شيئاً إلا بيَّنه حتى بيَّن لهم أحكام الطير وما يحل منه وما يحرم وكيف يُذبح وما الذي يَفْدي منه المحرِم إذا أصابه

(١) شرح السنة لأبي محمد البربهاري (ص٦٧).
(٢) إسناده صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥، ١/ ٢٦٧) والطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧) والبزار كما في كشف الأستار (١٤٧) ١/ ٨٨ وكذلك أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢) وأبو داود الطيالسي (٤٧٩).

ولم يُرِدْ أنَّ في الطير علماً سوى ذلك علَّمهم إياه أو رخَّص لهم أن يتعاطوا زَجْرَ الطير كما كان أهل الجاهلية. اهـ

ولله در العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه اللَّه تعالى حيث بيَّن أن الإسلام لا ينحصر في مذهب معين ولا نُقَلِّدُ أحداً من الناس ولا نتعصب لرأيه كائناً من كان قال:

علام جعلتم أيها الناس ديننا ... بأربعة! لا شك في فضلهم عندِي
هم علماء الدين شرقاً ومغرباً ... ونور عيون الفضل والحق والزهدِ
ولكنهم كالناس ليس كلامُهُم ... دليلًا ولا تقليدهم في غدٍ يُجْدي
ولازعموا حاشاهم أن قولهم ... دليلٌ فيستهْدي به كل من يهدي
بل صَرَّحوا: أنا نقابل قولهم ... إذا خالف المنصوص بالقدح والردِّ

والميزان هو الكتاب والسنة لا أراء الرجال كان السلف الصالح «السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان».

يزنون كلام الناس بميزان نصوص الوحيين الشريفين فيحكمون على الناس بالحق والعدل فمن خالف الوحيين وترك الحق حكموا عليه بالضلال والزيغ ومن استسلم للكتاب والسنة واتبع النبي ﷺ حكموا عليه باتباع السنة.

أما أهل البدع فيقدمون كلام علمائهم وشيوخهم على الكتاب وسنة النبي ﷺ.

وآراء الرجال فعندهم الميزان هو آراء علمائهم ويمتحنون الناس على ذلك فمن وافق كلامهم قبلوه ورضوا عنه ومن أبى وامتنع هجروه وقاطعوه.

قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى(١) وهو يذم عرْضَ قول الرسول ﷺ على قول الشيوخ!! أي يمتحنون الناس بقول الشيوخ:

وَعَرَضتم قولَ الرسول على الذي ... قد قاله الأشياخُ عَرْضَ وِزانِ
وجعلتُم أقوالَهم ميزان ما ... قد قاله والقَوْلُ في الميزان
ووردتُم سُفْلَ المياه ولم نكُنْ ... نرْضى بذاك الوردِ للظمآن
وأخذتُم أنتُمْ بُنيَّاتِ الطريق ... ونحن سِرْنا في الطريق الأعظم السلطاني
أصَّلْتُمُ أراءَ الرجالِ وخَرْصَها ... من غير بُرهانٍ ولا سُلطان
هذا وكم رأيٍ لهم فبرأي مَنْ ... نَزِنُ النصوصَ فَأَوْضِحوا ببيانِ
كُلٌّ له رأيٌ ومعقولٌ له ... يدعو ويمنعُ أخْذَ رأي فلان

قلت:

لا ريب بأن الذي يمتحن الناس بأقوال الشيوخ أراء والعلماء قد ترك ورد الماء الصافي والطريق الواضح البيِّن وتنكب بُنيَّات الطريق وهي الجواد والطرق المتباينة المختلفة الصغيرة المتشعبة.

كما قال عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه: «خطَّ رسول اللّه ﷺ خطاً ثم

(١) النونية (٣/ ٩١٤ - ٩١٥) التعليق المختصر على القصيدة النونية لفضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه اللّه تعالى.

قال: هذا سبيل اللَّه، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سُبل متفرقة على كلِّ سبيل شيطان يدعو إليه»(١). وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قلت:

فمن طرق الشيطان لإفساد المسلمين بث الخلاف بينهم والشقاق والتقاطع والأهواء كما تخوف رسول اللَّه ﷺ على أُمته من ذلك وخشيه على المسلمين من التفرق والتحزب بامتحانهم.

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى(٢):

«وكذلك التفريق بين الأُمة وامتحانها بما لم يأمر اللَّه به ولا رسوله».

قلت:

وهو التفرق والتفريق بين الأُمة أن يقول بعض الناس:

من لم يدخل في طريقتنا فليس بمسلم(٣) أو قد ضل أو قد خالف الجماعة وشذ. نعم إلا إذا خالف أصلًا من أصول وقواعد السلف

---

(١) حديث صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٠٩) ١٠/ ٩٥ وأحمد (٤١٤٢) ٧/ ٢٠٧ - ٢٠٨. والدارمي (٢٠٨) والحاكم ٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩ (٣٢٤١).

(٢) (٣/ ٤١٥).

(٣) انظر: «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» ص ٩٤ لعبد الرحمن أبو الخير حيث قال أحد قادة جماعة شكري مصطفى: نحن جماعة الحق ومن عدانا فليس بمسلم!!

وكابر عن ذلك فهذا ضلال وانحراف عن جادة السلف من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

ولا ريب بأن امتحان الناس بالناس وبالعلماء إنما هو من اتباع الهوى والتنطع والتعمق فخير القرون لم يكونوا على هذه الطريقة المحدثة الفجة.

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى[1]:

«ومن نَصَّبَ شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو:

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ الآية [الروم: ٣٢] .

وإذا تَفَقَّه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ فليس له أنْ يجعل قدوته وأصحابه هم العيار فيوالي مَنْ وافقهم ويُعادي من خالفهم فينبغي للإنسان أنْ يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به، فهذا زاجر وكمائن القلوب تظهر عند المِحَن.

وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمرَا اللَّه به ورسوله أو أخبر اللَّه به ورسوله لكون ذلك طاعة للَّه ورسوله.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/٨).

وينبغي للداعي أنْ يقدم فيما استدلوا به من القرآن، فإنه نور وهدى ثم يجعل كلام إمام الأئمة رسول اللَّه ﷺ ثم كلام الأئمة.

ولا يخلو أمر الداعي من أمرين:

الأول: أنْ يكون مجتهداً أو مقلداً فالمجتهد ينظر في تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة ثم يُرجِّحُ ما ينبغي ترجيحه.

الثاني: المقلد يقلد السلف إذ القرون المتقدمة أفضل العيار والموازين.

فواجب المسلم متابعة النبي ﷺ وهدي السلف.

قال أبو محمد البربهاري رحمه اللَّه تعالى:

«ومن اقتصر على سنة رسول اللَّه ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة فَلَجَ على أهل البدعة كلهم واستراح له بدنه وسلم له دينه إن شاء اللَّه لأن رسول اللَّه ﷺ قال: «ستفترق أمتي» وبين لنا رسولُ اللَّه ﷺ الناجي منها فقال: «ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي»(١).

---

(١) حديث حسن إن شاء اللَّه تعالى: أخرجه الترمذي ٥/ ٢٦ في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأُمة. والآجري في الشريعة وابن نصر في السنة (٦٢) وابن وضاح القرطبي «ما جاء في البدع» (ص٨٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٤٧). وحسنه شيخنا الألباني حسنة الأيام في الذهبية (٢٠٣).
أما حديث «التعمق» فوهم المصنف الإمام البربهاري في نسبته للنبي ﷺ فهو موقوف على عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه وإسناده منقطع ورواه الدارمي (١٤٤) ١/ ٢٥١) أبو قلابة لم يدرك عبد اللَّه بن مسعود.

فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المسْتنير، وقال رسول اللَّه ﷺ: «إياكم والتعُّمق وإياكم والتنطع وعليكم بدينكم العتيق».

أين الدليل الشرعي على امتحان الناس بالناس؟!

ولنا أن نسْأل سؤالًا سبَّكناه على هذا النحو:

هل قام الدليل الشرعي على وجوب الامتحان أو استحبابه لأن العلم ما قام عليه الدليل؟ فهل من دليل؟!

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى: والعلم ما قام عليه دليل والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ»[(١)].

وقال العلامة الإمام أبو إسحاق الشاطبي[(٢)]: «ولقد زلَّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل» اهـ.

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في النونية[(٣)]:

والعلمُ معرفةُ الهدى بدليله ... ما ذاك والتقليدُ مستويان

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٣٦).
(٢) «الاعتصام» (٢/ ٥٨٣).
(٣) النونية (ص٩٩).

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى[١]:

«لا يجوز أن يكون الشيء واجباً أو مُستحباً إلا بدليل شرعي يقتضي إيجابه أو استحبابه فإن العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ، فالشأن في أن نقول علْماً وهو: النقل المُصَدَّق والبحث المُحقَّق فإن ما سوى ذلك وإنْ زَخْرَفَ مَثَلَهُ بعضُ الناس - خَزَفٌ مُزَوَّقٌ وإلا فباطل مُطْلَقٌ» (٦/ ٣٨٨).

وما أجمل قول البوصيري:

والدعاوي إنْ لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

وعلى المسلم أنْ يتبع الدليل الصحيح ويبحث عن الحق ويأخذه من أهل العلم الراسخين المتثبتين ولا بأس عليه أن يأخذ المسألة عن أبي حنيفة إذ كانت صحيحة أو مالك أو الشافعي أو أحمد بشرط أن لا يتعصب ويمتحن الناس بهؤلاء الأئمة العظام بأقوالهم وآرائهم واجتهاداتهم.

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى[٢]:

«وإذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأىٰ في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم

---

(١) (١/ ٢٦٥).
(٢) (٢٢/ ٢٤٨، ٢٤٩).

يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاع بل هذا أولى بالحق وأحب إلى اللَّه ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه.

فمن فعل هذا كان جاهلًا ضالًا، بل قد يكون كافراً فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. بل غاية ما يقال: إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحداً لا بعينه، من غير تعيين زيد ولا عمرو.

وأما أن يقول قائل: إنه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان، فهذا لا يقوله مسلم.

ومن كان موالياً للأئمة محباً لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك. بل هذا أحسن حالًا من غيره، ولا يقال لمثل هذا مذبذب على وجه الذم. وإنما المذبذب المذموم الذي لا يكون مع المؤمنين، ولا مع الكفار، بل يأتي المؤمنين بوجه، ويأتي الكافرين بوجه، كما قال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]. إلى قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]. وقال النبي ﷺ: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين: تعير إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة».

فهؤلاء المنافقون المذبذبون هم الذين ذمهم اللّه ورسوله، وقال في حقهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وقال تعالى في حقهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤] فهؤلاء المنافقون الذين يتولون اليهود الذين غضب اللّه عليهم، ما هم من اليهود، ولا هم منا. مثل من أظهر الإسلام من اليهود والنصارى والتتر. وغيرهم، وقلبه مع طائفته. فلا هو مؤمن محض، ولا هو كافر ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم المذبذبون الذين ذمهم اللّه ورسوله، وأوجب على عباده أن يكونوا مؤمنين، لا كفاراً، ولا منافقين، بل يحبون للّه، ويبغضون للّه، ويعطون للّه، ويمنعون للّه.

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [الممتحنة: ١] وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه -». وفي الصحيحن عنه ﷺ أنه قال: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه». وفي الصحيحين أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه». وقال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا السلام بينكم».

وقد أمر اللَّه تعالى المؤمنين بالاجتماع والائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.

قلت:

كذلك يجب على المسلم عند سماعه لكلمة من بعض الناس ألا يتعجل في العمل بها وإفشائها بين الناس بل عليه أن يعرضها على الكتاب والسنة كما قد بينا بحمد اللَّه عز وجل ثم يعرضها على أقوال أصحاب النبي ﷺ لأن إجماعهم حجة.

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في النونية:

هذا وسادس عشرها إجماع   أهل العلم أعني حجة الأزمان
مِن كل صاحب سنة شهدت   له أهل الحديث وعسكر القرآن
لا عبرةً بمخالفٍ لهم ولو   كانوا عديد الشاء والبعدان

قال إمام أهل السنة في عصره أبو محمد البربهاري في شرح السنة (ص٦٧):

فانظر رحمك اللَّه كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر:

هل تكلم به أصحاب رسول اللَّه ﷺ أو أحد من العلماء، فإن وَجَدتَ فيه أثراً عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختار عليه شيئاً فتسقط في النار.

قلت:

وعلى المسلم إذا سمع من أهل زمانه أمراً غريباً أن يرده إلى كتاب

اللَّه عز وجل وسنة النبي ﷺ فإذا وجد أن هذا الأمر يؤيده الوحيان أخذ به وإلا فليرمه ولا يأبه له.

عن مالك بن أنس رحمه اللَّه تعالى قال: كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل تَرَكْنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدلِهِ(١).

قلت:

ومعنى ذلك واللَّه أعلم أنه لا يصح أن نتبع كل مجادل ومخاصم ابتدع بدعة في الإسلام بل يجب علينا أنْ نبطل ونزيِّف بدعته وذلك بالاحتجاج بسنة النبي ﷺ ففيها العصمة من الزلل والأمن من الخطل(٢) والنجاة من المكابرة والجدل وباتباع هدي السلف رضي الله عنهم.

وكما قيل:

لا تَتْبَعَنْ كل دخان تَرَى فالنار قد توقد للكي(٣)

وقال القاضي أبو الحسين علي بن عبد العزيز الجُرجاني رحمه اللَّه تعالى:

وما كلُّ برقٍ لاح لي يستفزُّني ولا كلُّ مَن في الأرض أرضاه مُنْعما

* * *

(١) أثر صحيح: أخرجه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» وأبو القاسم اللالكائي في «شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (٢٩٣) وانظر سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.
(٢) الخَطَل: محرَّكة خفَّة وسرعة والكلام الفاسد الكثير.
(٣) يُنسب إلى ابن المعتز وليس في ديوانه.

الدعوة إلى اتباع السلف الصالح ليس من الامتحان

لا يشك مسلم أنه يجب عليه أن ينتمي إلى السلف الصالح أهل القرون الثلاثة المثني عليها في سنة النبي ﷺ ولعمري إذا لم ينتم إليهم وينْتسب إليهم فإلى من ينتمي؟! إلى أهل البدع والضلال!

وأجزم بأن الأمة لن تتحقق لها العزة والسؤدد والتمكين في الأرض وأن تنهض من كبوتها وتصحو من غفوتها وتستيقظ من غفلتها، إلا بالرجوع الحق والعودة الصادقة إلى ما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم ولأنها هي الأساس والأصل.

قال الإمام البربهاري في شرح السنة (ص٦٥):

في كلمة بديعة مُبِّيناً كل عمل وجهد لا يبدأ بما بدأ به رسول اللَّه ﷺ من إصلاح الناس في أُمور العقيدة والمنهج وهو أساس الدين وأصل الملة.

لا شك أن هذا العمل والجهد تالف ضائع باهت لأنه باين وخالف سبيل رسول اللَّه ﷺ قال رحمه اللَّه:

«بأن الدين جاء من قِبل اللَّه تبارك وتعالى لم يُوضع على عقول الرجال وآرائهم وعلُمهُ عند اللَّه وعند رسوله ﷺ فلا تتبع شيئاً بهواك

فتمرقَ من الدين وتخرجَ من الإسلام فإنه لا حجة لك فقد بين رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعةُ وهم السواد الأعظم. والسواد الأعظم: الحقُّ وأهلُهُ، فمن خالف أصحاب رسول الله في شيء من أمر الدين فقد كفر[١].

محبة أئمة السنة والأثر ليس من الامتحان الأبتر:

إن محبة علماء أهل السنة والجماعة والأثر وتعلق القلوب والأفئدة بهم ليس من الامتحان المذموم بل يجب إظهار ونشر محبتهم وذكر أقوالهم وفتاويهم والذب عنهم لما لهم من الفضائل الجمة ولهم في كل فضيلة القسط الأوفى والسهم الأعلى والحظ الأغفى والقدْح المعلى والنصيب الأسنى كيف وهم أئمة الهدى وزوامل الإسلام ومصابيح الدجىٰ وكواكب تهدي بإذن الله من الهوى.

وهناك بعض الأدلة النبوية والآثار السلفية.

تدل على مزيد إيثارهم بمحبة خاصة وإجلال كبير وحفظ تام لمنزلتهم ومكانتهم.

---

(١) وذلك بشروط وموانع ليس هذا موضع بسطها قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (١٢/ ٤٨٧): إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعَّين وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجُدت الشروط وانتفت الموانع. . . » ولي رسالة بحمد الله تعالى في بيان هذا الموضوع الذي وقع فيه خلط كثير وخطب كبير في التسرع في التكفير بين بعض المسلمين وعنوانها: «التحذير من التسرع في التكفير. أسأل الله تعالى أن يعينني على نشرها.

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتِهِ فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر، فسلم وقال: يا رسول اللّه! إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أنْ يغفر لي فأبى علي! فأقبلت إليك فقال: يغفر اللّه لك يا أبا بكر! (ثلاثاً)

ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول اللّه! واللّه! أنا كنت أظلمَ (مرتين) فقال النبي ﷺ: يا أيها الناس! إن اللّه بَعَثني إليكم، فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ (مرتين) فما أُوذي بعدها(١).

ومعنى غامَرَ: سبق بالخير.

وكذلك ما وقع للصحابي ربيعة الأسلمي في قصته مع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦١) ٧/ ٢١٨ وابن أبي عاصم في السنة مختصر (رقم ١٢٥٨) ٣/ ٨٢٢ الجوابرة.

كنت أخدم رسول اللَّه ﷺ، فأعطاني أرضًا، وأعطى أبا بكر أرضًا، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عِذْقِ نخلة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هي في حدِّ أرضي، وقلت أنا: هي في حدِّي، وكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها، وندم؛ فقال لي: يا ربيعة! رد علي مثلها حتى يكون قِصاصاً، قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر: لتقولن، أو لأستعدين عليك رسول اللَّه ﷺ. قلت: ما أنا بفاعل. قال: ورفض الأرض، فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فانطلقت أتلوه، فجاء أناس من أسلم، فقالوا: رحم اللَّه أبا بكر! في أي شيء يستعدي عليك رسول اللَّه، وهو الذي قال لك ما قال؟! فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، وهو ثاني اثنين، وهو ذو شيبة المسلمين، فإياكم يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول اللَّه ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب اللَّه لغضبهما؛ فيهلك ربيعة، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا.

فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول اللَّه ﷺ، وتبعته وحدي وجعلت أتلوه؛ حتى أتى النبي ﷺ، فحدثه الحديث كما كان، فرفع إلي رأسه فقال: «يا ربيعةُ! مالكَ وللصِّدِّيقِ؟ قلتُ: يا رسولَ اللَّه! كانَ كذا، وكانَ كذا، فقال لي كلمةً كرهتُهاو فقالَ لي: قلْ كما قلتُ لكَ حتَّى يكون قِصاصاً، [فأبيتُ]؟! فقال رسول اللَّه: أَجَلْ، فلا تردَّ عليه، ولكنْ قلْ: غفرَ اللَّهُ لكَ يا أبا بكر!».

[فقلت: غفر اللّه لك يا أبا بكر! قال: فولى أبو بكر رحمه اللّه وهو يبكي[(١)].

قلت:

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ قد بلغت بهم المحبة والمودة والإيثار والذب عن بعضهم البعض الذروة العليا.

بل هذا هو ديدن وعادة وطريقة السلف المتقدم خير الناس قرني... وكذلك من اتبعهم بإحسان وحرص على اقتفاء أثرهم ولَهَجَ بذكر فضائلهم ومناقبهم وكَلِفَ بمحبتهم وشغف بهم خاصة منهم العمران ومن بعدهم عثمان وعلي وسائر الصحب الكرام.

وما أجمل ما قاله الإمام المحقق والعلم المدقق ابن القيم رحمه اللّه تعالى:

كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا ... يُثني عليه ثناء ذي شُكران
ويقول في مرض الوفاةِ ... يؤمكم عني أبو بكر بلا روغان
ويظل يمنع من إمامة غيره ... حتى يُرَى في صورةٍ مَيلان
ويقول لو كنتُ الخليلَ لواحدٍ ... في الناس كان هو الخليل الداني

(١) إسناده جيد: أخرجه أحمد (٤/ ٥٨ - ٥٩) والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٥٢ - ٥٣) والحاكم (٢/ ١٧٣ - ١٧٤) ثم رأيته في السلسلة الذهبية وزاد أن ابن عساكر وهو في الفوائد المنتقاه الحسان العوالي من حديث أبي عمر وعثمان بن أحمد بن محمد بن هارون السمرقندي (ت٣٤٥) رواية أبي طاهر محمد بن علي الأنباري (رقم ٤٠) ص ٨٦ و٨٧ و ٨٨)

لكنه الأخ والرفيقُ وصاحبي ولـه علينا مِنَّةُ الإحسان
ويقول للصديق يوم الغار لا تحزنْ فنحنُ ثلاثةٌ لا اثنان
اللَّه ثالِثُنا وتلك فضيلةٌ ما حازها إلا فتىٰ عُثمان

وأحببتُ أن أسوق إليك أخي القارئ الكريم بعض الآثار للسلف ﷺ في بيان محبتهم لعلمائهم الذين يذبون عن سنة النبي ﷺ ومنهج السلف.

قال الإمام الحافظ أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي(١):

باب استحقاق الرجل السنة بمحبة أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن نا أحمد بن القاسم بن عطية قال: سمعت عبد اللَّه بن أحمد بن شبويه المروزي يقول: سمعت أبا رجاء يعني قتيبة بن سعيد يقول: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة.

حدثنا عبد الرحمن قال: سمعت أبا جعفر محمد بن هارون المخرمي المعروف بالفلاس يقول: إذا رأيت الرجل يقع في أحمد بن حنبل فاعلم أنه مبتدع ضال.

وقال الإمام الحافظ أبو أحمد الحاكم محدث خراسان محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي:

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ٣٠٨).

وإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس وأيوب السختياني وعبد اللّه بن عون ويونس بن عبيد وسليمان التيمي وشريكاً وأبا الأحوص والفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وابن المبارك ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه فاعلم أنه على الطريق وإذا رأيت الرجل يقول هؤلاء الشكاك فاحذروه فإنه على غير الطريق»[١] اهـ.

وقال أبو محمد القحطاني في النونية السلفية (ص٤٦) وهو يذم أهل الأهواء ويمدح الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى:

بيْنَ ابن حنبلَ وابن إسماعيلكم سَخَطٌ يذيقكم الحميمَ الآنِ

وقال ابن أبي حاتم رحمه اللّه تعالى:

باب ما يُرجى من الخير لمحبي الأوزاعي

حدثنا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد بن حنبل نا علي - يعني ابن المديني قال: سمعت عبد الرحمن - يعني ابن مهدي يقول: إذا رأيت الشامي يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفَزَاري فارْجُ خيرَهُ.

وفي رواية عنه رحمه اللّه تعالى:

---

(١) شعار أصحاب الحديث.

إذا رأيت الشامي يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفَزَارِي فهو صاحب سُنة.

وقال ابن أبي حاتم أيضًا رحمه اللَّه تعالى:

باب استحقاق السنة محبي أبي إسحاق الفَزَاري:

حدثنا عبد الرحمن حدثني أبي سمعت حماد بن زاذان قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال: إذا رأيت شامياً يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري فهو صاحب سنة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه اللَّه تعالى:

إذا رأيت الشاميّ يذكر الأوزاعي والفَزاري بخير فاطمئن إليه.

ويُبيِّن الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى أن علامته محبة علماء السلف دليلَ على أن الرجلَ المُحِبَّ سُني.

قال رجل لأحمد بن حنبل رحمه اللَّه تعالى: من السُّني؟!

قال: من أين أنت؟ قال: من أهل البصرة قال: أتحب أيوب السختياني؟ قال نعم؟ قال: فأنت سُني.

قلت:

وفي هذا الأثر وهذا السؤال من الإمام أحمد رحمه اللَّه دلالة جليلة

وبيِّنة جلية على توقير واتباع علماء السلف الذين اشتهروا بالذب عن السنة وقمع البدعة والرد على أهل الأهواء والبدع.

بل هذا الأمر كان مألوفاً شائعاً سائغاً عند السلف بل هذا دين وإيمان بل حياتهم للدفاع عن الكتاب والسنة وإبطال حجج أهل الضلالة والعماية والغواية كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه بل وتلامذته كابن القيم وفي هذا العصر شيخنا حافظ الوقت ومحدِّث هذا الزمان ناصر السنة والدين الإمام الألباني رحمه اللَّه تعالى في ردوده على أهل البدع والذب عن السنة والتحذير من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة لاسيما في مقدماته الرائعة الجزلة في السلاسل الذهبية.

وشيخنا الإمام العلم عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز رحمه اللَّه تعالى في ردوده على القبوريين والمؤولة وأهل البدع. وغيرهما كثير ممن له جهود طيبة مشكورة في الرد على أهل البدع والضلالات فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة والأثر عليهم من اللَّه يدٌ واقية وعين كالئة ونعمة ضافية.

قال الإمام الحافظ أبو عثمان إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب برية، نقية زكية تقية، وليسوا إلَّا أهل السنَّة المُضية، والسيرة المرضية، والسبل السوية،

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٣٠٧ - ٣١٦).

والحجج البالغة القوية، قد وفقهم اللَّه جل جلاله لاتباع كتابه، ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره، التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منها، وأعانهم على التمسك بسيرته، والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته.

ومن أحب قوماً فهو منهم يوم القيامة بحكم قول رسول اللَّه ﷺ: «المرء مع من أحب».

وإحدى علامات أهل السنَّة: حبهم لأئمة السنَّة وعلمائها، وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلّون أصحابهم على دار البوار.

وقد زين اللَّه سبحانه قلوب أهل السنَّة، ونوّرها بحب علماء السنَّة، فضلًا منه جل جلاله ومنة.

أخبرنا الحاكم أبو عبد اللَّه الحافظ - أسكنه اللَّه وإيانا الجنة - ثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكى، ثنا أحمد بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب (الإيمان) له؛ فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوض، وشريكاً، ووكيعاً، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي؛ فاعلم أنه صاحب سنة). قال أحمد بن

سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فألحقت بخطي تحته: ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، فلما انتهى إلى هذا الموضع نظر إلينا أهل نيسابور وقال: هؤلاء القوم يتعصبون ليحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا رجاء ما يحيى بن يحيى؟ قال: رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق ابن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلَّهم.

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكرهم قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن من أحبهم فهو صاحب سنة، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يُعدُّون، وفي اتباعهم آثارهم يجدُّون - جماعةً آخرين:

منهم: محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، الإمام المقدم، والسيد المعظم، العظيم المنة على أهل الإسلام والسنَّة، الموفق الملقن الملهم المسدد، الذي عمل في دين اللّه وسنة رسوله ﷺ - من النصر لهما والذب عنهما - ما لم يعمله أحد من علماء عصره، ومن بعدهم.

ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كسعيد بن جبير، والزهري، والشعبي، والتيمي.

ومن بعدهم: كالليث بن سعد، والأوزاعي، والثوري، وسفيان بن عيينة الهلالي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وأيوب، وابن عون، ونظرائهم.

ومن بعدهم: مثل يزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وجرير بن عبد الحميد.

ومن بعدهم: مثل محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، وأبي داود السجستاني، وأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم، وابنه، ومحمد بن مسلم بن وارة، ومحمد بن أسلم الطوسي، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة - الذي كان يدعى إمام الأئمة، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته - ، وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي وجدَّيَّ من قبل أبَويَّ: أبي سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي، وعدي بن حمدويه الصابوني، وولديه سيفي السنَّة أبي عبد اللّه الصابوني، وأبي عبد الرحمن الصابوني. وغيرهم من أئمة السنَّة، الذين كانوا متمسكين بها، ناصرين لها، داعين إليها، دالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتُّها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى اللّه عزَّ وجلَّ بمجانبتهم ومهاجرتهم.

قلت:

ومما تقدم بحمد اللَّه تعالى وحسن توفيقه جل وعلا يتبيَّن لنا أن السلف من الصحابة والتابعين إنما كانوا يَمْتحنون ويخْتبرون الناس بمحبتهم لأئمة السنة وتبجيلهم لهؤلاء العلماء، وبذبِّهم ونُصْرتهم لمذهب السلف.

وإنما النهي التي نَهوا عنه وعدَّوْه بدعة هو امتحان الناس بأقوالهم وكلامهم وبمذهب اتَّخذوه وبطريق سلكوه.

تم بحمد اللَّه

الفهرس

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة والكمبيوتر
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥